٨٦٤٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مع القرآن

حوار في فهم بعض مقاصد آيات الذكر الحكيم

عباس آل وهب الشمري

دار القارئ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ
لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

قرآن كريم

المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف/ ١ ـ ٢]، والصلاة والسلام على من أرسله بالضياء، وقدمه بالاصطفاء ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب/ ٤٥ ـ ٤٦]، وعلى آله الأبرار المصطفين الأطهار، حملة لوائه، وباب مدينة علمه، وقادة المؤمنين على دربه، سفينة النجاة، وأولي الأمر الهداة.

وبعد

فإن القرآن نور الله تبارك وتعالى في قلوب عباده، وحبله الممدود لمن أراد قربه، وسبيله الذي جعله لرسوله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وهو كلامه سبحانه الذي خاطب به خلقه مع غناه عنهم، وتفرده بالكمال والجلال المطلق المانع عن حاجته إليهم، سدا لحاجتهم، وإظهاراً لحجته البالغة عليهم.

وكان مما يبعث على الدهشة أن نجد كثيرا من الناس عن آيات ربهم معرضون، ولا نقصد الإعراض المتمثل بالإنكار، وإنما الإعراض عن تدبر آيات ربهم، وعدم تكليف أنفسهم عناء البحث والتقصي في تأمين السبل التي تكفل تحقيق الفهم السليم لمقاصد الكتاب المبين، بل إننا وجدنا من الناس من يعتقد أن السبيل القويم للتعامل مع الذكر الحكيم يكمن في عدم تقصي دلائله، وفهم مراميه، وجعله كتابا يقرأ للبركة فقط، حتى ذكر عن

بعضهم «أن تفسير القرآن تلاوته»، ومتى سألت أحدهم عن تجنبه لما هو واجب على كل مخاطب من تقصي مدلول كلام من خاطبه جاءك الجواب سريعا: «وكيف لي أنا العبد الفقير فهم كلام الله تعالى»، ويبدو للوهلة الأول الجواب مقبولا إلا أننا عند التأمل فيه، والتحقق مما ينتج عنه نجد محصله مفزعا لأنه سيؤدي إلى تعطيل فاعلية القرآن التي جعلها منزله سبحانه وتعالى في نفس المتبني للقول لبلوغ العباد مراتب اليقين، وتحقيق طمأنينة النفس من أنها ماضية على ذات ما بينه تبارك وتعالى من مراده، غير منحرفة عنه في إتباع الظن، وما تهوى الأنفس.

وبرغم معارضة القرآن الكريم لمثل هذا النهج القائم على تبني هجران القرآن واقعا سواء أكان بقصد ممن يقول به أم بدون قصد منه لظاهر ما دأب عليه من حث الناس على تدبره من مثله قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء/٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد/٢٤] إلا أن الهجران آخذ بالتفشي في أوساط الناس، وكأن ما أثبته الذكر الحكيم من أسف الرسول الأعظم ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان/٣٠] لا يعنيهم ولا يقلق مضاجعهم.

ويزداد الأسى في النفس عندما ننصت إلى سورة القمر وهي تحرك ضمير العبد مرارا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر/١٧]، ولا نعرف كيف ينظر إلى هذه الآية المباركة من يدعون أن فهم مقاصد الذكر الحكيم بالتفكر بآياته، وتأمين السبل الكفيلة بإصابة معانيه على ذات ما أراد منزله تبارك وتعالى فيه ليس من شأنهم، ولا هم مكلفون به؟!

نعم القرآن عميق في معانيه وكيف لا يكون كذلك وهو تبيان لكل شيء؟!

لكن هذا من دواعي دوام التواصل معه وليس الانقطاع عنه كما قد

يتصور بعضهم، فكما أن سعة الكون وعمقه تدعونا للتفكر فيه وتتبع آياته والانسجام معه في فهم نظامه والتعامل مع معطياته فكذا الأمر في القرآن الذي هو بيان تام لكل ما في الكون.

والحق أنه ما من عبد يريد أن يتحلى بالإيمان حقيقة ويطلب ذلك من دون أن يكون القرآن زاده، وفهم مقاصده همه، وتحصيل سبل نوال ذلك شغله، وأي إيمان من غير هذا فهو ادعاء ليس إلا، وآية ذلك أننا لا نكون مؤمنين حقا من دون السير على ذات ما أراد الباري سبحانه، ومراده هو ما بينه في كتابه الذي ما فرط فيه من شيء، وجعله تبيانا لكل شيء، قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام/٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل/٨٩]، فكيف إذاً يتحقق الإيمان من دون فهم مقاصد القرآن، وهي عين ما بينه الله تعالى من مراده؟!

ومن هنا يمكن أن نعي معنى وصف الرسول الأكرم ﷺ القرآن بأنه الثقل الأكبر في حديث الثقلين المشهور، إذ من دونه لن يكون هناك إلزام بشيء على المكلف، فهو الدليل الأكبر الدائم على النبوة من جهة، والحجة البالغة على وجوب إتباع الرسول بأخذ ما أتانا، والانتهاء عما نهانا عنه من جهة أخرى، فمثلا عندما يرفع رسول الله ﷺ يد عبد من عباد الله فينص عليه بالولاية من بعده كما حصل في حديث الولاية المعروف فإن الحجة بالتمسك بولاية من نص الرسول على ولايته من بعده من المكلف تكمن في حجية القرآن ذاته لما ألزم به العباد في ما أوجبه من أخذ ما أتى الرسول قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر/٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب/٣٦]، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم/٣ ـ ٤]، وغير ذلك مما يطول المقام فيه.

وعليه فالقرآن هو الثقل الأكبر لأنه الحجة التي بها يثقل ميزان العبد إن أمضى عمله قاصدا إتباع بيانه، ولا حظ لأحد يوم القيامة إن جاء بما يخالفه أو بلغ به الكسل والإهمال حد عدم تدبره، والتفكر بآياته، وتأمين ما يلزم ذلك من السبل التي تضمن عدم إتباع الظن والهوى والقول بما لا تقوم الدلالة فيه عليه، فكل مكلف يقع تدبر القرآن وتحصيل معانيه في قلب تكليفه.

وهذا الكتاب ما هو إلا دعوة لنكون مع القرآن غير مفارقين، وقد نظمنا بحوثه بطريقة التحاور فضم ما يقرب على الألف سؤال مع الإجابة عليها في ما تعلق بالجزء الأول من القرآن، وقصدنا من وراء ذلك تسهيل فهم المقاصد بعد أن شعرنا بأن السرد يمكن أن يشتت القارئ عن كثير من المضامين، إضافة لما تأملناه من إمكان مساهمة القارئ في وضع كثير من الأسئلة التي قد تغيب عنا، أو التوسع بالإجابة في ما يجد الدلالة قائمة عليه مما قد لا نلتفت إليه، وذلك يدخل في أصل دعوتنا في أن يكون القرآن الكريم محور حياة كل من يجد في نفسه توقا للاتصاف بالإيمان الحق، فمرادنا أن يكون هذا الكتاب نقطة انطلاق لمن أراد أن يكون مع القرآن لفضاء أوسع في فهم مقاصد آيات الذكر الحكيم، سائلا المولى أن يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، ويجعل لنا من لدنه سلطانا نصيراً، ويجزل الأجر لكل من أعان في هذا السعي، ويجعله خالصا لوجهه، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

سورة الفاتحة المباركة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

سؤال: ما تفيد الباء في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؟

الجواب: الباء في المقام تفيد الإلصاق، ومعنى ذلك أنها مظهر الارتباط بين متعلقها واسم الله في القول المبارك.

سؤال: لِمَ لم يذكر متعلق الباء مع أننا نعلم أن الجار والمجرور يلزمه متعلق ليتضح المعنى؟

الجواب: لم يذكر المتعلق لأن القول المبارك وهو البسملة يراد منه بيان العلة التي من أجلها خلق سبحانه الخلق من جهة، وبيان الكيفية التي أرادها سبحانه لبلوغ خلقه الغاية من خلقهم من جهة أخرى.

وهذا يعني أن متعلق الباء هو كل شيء شاء سبحانه في ما كان وما هو كائن وما سيكون، وإذ ذاك فالأمر من العموم بما لا يستدعي ذكره، فكل شيء أراده الباري إنما كان لأجل تعلقه بالاسم الظاهر في الآية المباركة «البسملة».

الفهرس

المقدمة ٧

سورة الفاتحة

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ..﴾ . ١١

سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ ٤١

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ...﴾ ٦٠

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا..﴾ ٨٣

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ..﴾ ٩٤

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ ١٠٩

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ..﴾ ... ١٢٣

النهي الإلٰهي لآدم وزوجته ١٨١

الشيطان والأكل من الشجرة ١٨٧

الشجرة المنهي عنها ٢١٠

الأمانة بين العرض والحمل ٢١٥

تعيين الأمانة ٢٣٤
الاستغفار والغفران ٢٤٤
قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ...﴾ ٢٥٦
قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي..﴾ ٢٧٥
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ...﴾ ٣٢١
قوله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ...﴾ ٣٤٤
قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ٣٥٨
قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ...﴾ ٤٠٥
قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ..﴾ ٤٣٥
قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ ...﴾ ٤٧١
قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ...﴾ ٥١٧